المعنى الظاهر والمعنى التأويلي

قراءة في إشكالات المصطلح

The apparent meaning and interpretive meaning.

A study of terminology problems

إعداد

سعد محمد صبري عبد العليم

الملخص:

أتناول في بحثي هذا مصطلح المعنى الظاهر الذي استُعملَ في كثير من المصنّفات التفسيرية، وفيما اطلّعت عليه الباحث من الدراسات التي تناولت علم التأويل القرآني - دون ضبط المعايير التي تحدده تحديداً دقيقاً، وتميزه عن غيره من أقسام المعنى الأخرى (كالمعنى التأويلي على وجه التحديد)، فما مفهوم المعنى الظاهر؟ وما المعايير التي إذا تو افرت في بنية دلالية أمكن لنا أن نعتبها بالظاهرة؟ وما مدلول الظهور وعلاماته؟

على أن الإشكالات الناتجة عن عدم تحديد المعايير الضابطة للمصطلح، وما ترتب عليها من نتائج هي محور الدراسة.

الكلمات المفتاحية: المعنى الظاهر، المعنى التأويلي، التبادر الذهني، المعنى

البنوي.

Abstract

In my research, I deal with the term apparent meaning that has been used - in many exegetical works, and in what the researcher has seen from the studies that dealt with the science of Qur'anic hermeneutics - without adjusting the criteria that define it precisely, and distinguish it from other interpretations (such as the specific meaning of other sections of meaning) What is the meaning of the apparent meaning? And what are the criteria that, if they exist in a semantic structure, can we describe it as a phenomenon? What is the significance of appearing and its signs?

However, the problems resulting from the lack of definition of the controlling criteria for the term and its consequences are the focus of the study.

(1) المقدمة :

استُعملَ مُصطلحُ المعنى الظاهر في بعضِ المُصنَّفاتِ التفسيريةِ ، وفيما أُطْلِعَ عليه الباحثُ من الدراساتِ التي تَنَاولَتِ عِلْمَ التأويلِ القرآنيِّ دونَ ضبطِ المعاييرِ التي تُحدده تحديدًا دقيقًا¹ ، وتُميِّزه عن غيره من أقسامِ المعنى الأخرى (كالمعنى التأويليِّ على وجه التحديد) ، فما مفهومُ المعنى الظاهر ؟ وما المعايير التي إذا توافرت في بنيةٍ دلاليةٍ أمكن لنا أن نعتَها بالظاهرة ؟ وما مدلولُ الظهور وعلاماته ؟

يرى الباحثُ أنَّ عدمَ تحديدِ مفهومِ المعنى الظاهر في المُصنَّفاتِ التفسيريةِ ، أو في الدراساتِ التي تناولتِ عِلْمَ التأويلِ القرآنيِّ قد يرجعُ إلى أنَّه من المصطلحات التي يُظنُّ أنَّها واضحةٌ بذاتها ولا تحتاجُ إلى مَنْ يَضبطُها أو يُحدِّدُها أو يَصِفُها ؛ إذ إنَّ الظاهرَ لا يحتاجُ إلى مَنْ يَظهرُه ، بل الخفيُّ هو الذي يحتاجُ إلى مَنْ يُبرزُه .

وقد تبَيَّنَ للباحث أنَّ هذا الظنَّ لا يتسمُّ بالدقة ؛ لأنَّ عدمَ تحديدِ مفهومِ الظهور ومعاييرِه أدى إلى أن يُنعتَ المعنى نفسه بالظاهر عند مفسِّرٍ ، وبالتأويلِ الذي يخالفُ الظاهرَ عند آخر ؛ لذا كان على الباحث أن ينظرَ في الإشكالات الناتجة عن عدم تحديد المعايير الضابطة للمصطلح وما ترتب عليها من نتائج .

(2) أهدافُ البحث :

1_ إظهارُ المشكلات الناتجة عن عدم تحديد المعايير الضابطة لمصطلح المعنى الظاهر .

2_ تحديد مفهوم المعنى الظاهر ومدلول الظهور وعلاماته .

(3) عناصرُ البحث :

1_ المعنى التأويلي والمعنى الظاهر (انعدام المعايير الفارقة) .

2_ فرضيات حول مفهوم المعنى الظاهر .

3_ النتائج المترتبة على الفرضيات .

(4) منهجُ البحث :

يرى الباحثُ أنَّ المنهجَ النقديَّ هو الأنسبُ لدراسة موضوعِ البحث بما يتضمنه من خُطوات إجرائية منظمة يسلكها الباحثُ الناقدُ تمكُّنه من إعادة النظر في المقدمات التي تتأسس عليها الظاهرة موضوع البحث ، ومن ثمَّ إلى اكتشاف المشكلات التي قد لا تظهرُ دون التفكيك النقدي .

(1) المعنى التأويلي والمعنى الظاهر (انعدام المعايير الفارقة) :

فرَّق علماءُ التفسير بين نوعين من أنواع المعنى ، أحدهما أُطلقَ عليه المعنى الظاهر

، والآخر أُطْلِقَ عليه التأويل ، وهو معنى يتصف بالخفاء ، أي أَنَّ النصَّ لا يُظْهِرُهُ ، ولا يُفْصَحُ عنه بذاته ، بل يُظْهِرُهُ القارئُ بما ظهر له من الأدلة والقرائن التي تفرضُ عليه مُجاوزةَ هذا الظاهر والانتقال إلى التأويلي الذي يتسم بالخفاء.

وقد تعددت آراء علماء القرآن والمفسرين واختلفت تصوراتهم حول مفهوم المعنى التأويلي ، إلا أنَّهم _ على اختلافهم _ اتفقوا على أنَّه معنى غير ظاهر ، فالتأويلُ بوجه عام : " أَنْ يجعلَ الكلامَ يؤوَّلُ إلى معنى لم يكن ظاهراً منه ، فآل الكلامُ إلى أَنْ حُمِلَ على ذلك المعنى بعد أن كان غيرَ ظاهرٍ فيه .. أمَّا التأويلُ في اللفظ : أَنْ يُحْمَلَ على معنى لم يكن ظاهراً منه ، فالكلامُ الذي لا يظهرُ معناه لكثيرٍ من سامعيه يكونُ بياناً أنَّ معناه كذا تأويلاً ، والكلامُ الذي يظهرُ منه معنى يكونُ بياناً أنَّ معناه غير ذلك الظاهر تأويلاً"².

نستنتجُ من المفهوم السابق أنَّهم قد عرّفوا المعنى التأويلي بناءً على فرضية ذهنية سابقة مفادها أنَّ هناك معنى ثابتاً متفقاً عليه يسمى المعنى الظاهر ، وأنَّ الظاهرَ من النص ليس التأويل ، بل التأويلي هو ما لم يظهره النصُّ بذاته ، فالمعنى التأويلي معنى يتسم بالخفاء ، لم يفصح عنه النصُّ ، إنَّما أظهره المؤول بما لديه من الأدلة .

إلا أنَّهم لم يحددوا لنا مفهوم المعنى الظاهر الذي على أساسه قد عُرِفَ التأويل ، ولم يحددوا معايير الظهور وعلاماته ؛ مما أدى إلى التباس الظاهر بالتأويل ، فمثلاً : في قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَوَى (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (7) ﴾ يذكرُ الفخرُ الرازي أنَّ مرجعَ ضميرِ الرفع المستترِ (فاعل الفعل استوى) فيه وجهان ، أحدهما مشهورٌ ، وهو جبريلُ عليه السلام ، والآخرُ الذي يخالفُ المشهورَ وصفه بالظاهر ، وهو النبيُّ محمدٌ صلى الله عليه وسلم ، والأمرُ مماثلٌ بالنسبةِ إلى مرجعِ ضميرِ الرفع المنفصلِ (هو) في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴾ ؛ إذ قال :

" فيه وجهان ، المشهورُ أنَّ المرادَ جبريلُ ، أي فاستوى جبريلُ في خلقه ، ثمَّ قال : ﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴾ والمشهورُ أنَّ هو ضميرُ جبريل ، وتقديره : استوى كما خلقه الله تعالى بالأفق الشرقي ، فسَدَّ المشرقَ لعظمته ، والظاهرُ أنَّ المرادَ محمدٌ صلى الله عليه وسلم ، معناه : استوى بمكان ، وهو المكان العالي رتبةً ومنزلةً في رفعةِ القدرِ لا حقيقة في الحصول في المكان"³.

يستفاد مما سبق أنَّ هناك وجهين محتملين :

- الوجه الأول: (المشهور): استوى جبريل وجبريل بالأفق الأعلى .
- الوجه الثاني (الظاهر): استوى محمد صلى الله عليه وسلم ومحمد بالأفق الأعلى .

• الأفق الأعلى مكاناً على القول بالوجه الأول المشهور .

• الأفق الأعلى ليس مكاناً ، بل هو مكانة / منزلة / مرتبة على القول بالوجه الآخر الظاهر .

فإذا كان المشهور ليس ظاهراً عند الرازي ، فأيهما التأويلي ؟ الوجه الأول أم الثاني ؟ إنَّ القائلين بالوجه الأول (المشهور) يرونه ظاهراً ، في الوقت الذي يرى فيه الرازي أنَّ ما جاء به هو الظاهر ، فالظاهر عندهم تأويلي عند الرازي ، والتأويلي عندهم ظاهر عند الرازي ؛ مما أدى إلى التباس الظاهر بالتأويل .

كما يمكن للباحث أن يسجل بعض الملاحظات :

1_ الوجه الذي رجَّحه الرازي هو الذي يخالف المشهور ، وقد نعت بالظاهر ، كما سبق أن نعت رأيَه بالظاهر (على الرغم من مخالفته للمشهور) في أكثر من موضع ، منها : في قوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى) ؛ إذ قال : " الظاهر خلاف ما هو المشهور عند بعض المفسرين ، وهو أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ما كان ينطق إلا عن وحي ، ولا حجة لمن توهم هذا في الآية ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيُ يُوحَى ﴾ إن كان ضمير القرآن فظاهر (على أنَّ المراد بالنجم هو القرآن) ، وإن كان ضميراً عائداً إلى قوله (يقصد قول النبي) ، فالمراد من قوله هو القول الذي كانوا يقولون فيه إنَّه قولُ شاعرٍ ، وردَّ الله عليهم فقال : ﴿ ولا بقول شاعر ﴾ وذلك القول هو القرآن "4.

2_ لم يُحدِّد مفهومُ المعنى الظاهر ، ولم تُحدد معاييرُ الظهور وعلاماته ؛ مما أدى إلى أن يكون الظاهر عند مفسر تأويلياً عند آخر .

وبالرجوع إلى مصطلح التأويل في حقول معرفية متعددة تبين للباحث أنَّ " التأويل في عرف المتأخرين من المتَّفَقِّهَةِ والمُتَكَلِّمَةِ والمُحَدِّثَةِ والمُتَصَوِّفَةِ ونحوهم هو: صرفُ اللفظ عن المعنى الراجح إلى معنى المرجوح ؛ لدليل يقترن به.. والمتأول عليه وظيفتان : بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي ادَّعاه ، وبيان الدليل الموجب للصرف إليه عن المعنى الظاهر.. "5.

يتضمن هذا المفهوم بعض النقاط :

- 1_ إنَّ هذا المفهوم يفترض أنَّ هناك معنىً واضحاً من اللفظ أو من الكلام بوجه عام ، يُطلق عليه المعنى الظاهر .
- 2_ إنَّ هناك إشكالاً في هذا المعنى الظاهر من اللفظ ، أو من الكلام .
- 3_ إنَّ هذا الإشكال يبرر الانتقال من المعنى الظاهر إلى معنى آخر يتصف بالخفاء (لم يكن ظاهراً من اللفظ أو الكلام) .
- 4_ إنَّ من واجبات القارئ أن يبين وجه الإشكال في المعنى الظاهر من اللفظ ، وأن يبين احتماله (أي اللفظ) للمعنى الذي لم يكن ظاهراً الذي ادَّعاه .
- 5_ إنَّ هذا المفهوم يؤكد على أنَّ التأويل هو بيان القارئ لما لم يبينه النص بذاته ، أو ما لم يكن واضحاً فيه ، أو ما لم يُفصح عنه ، كما يُستنتج من هذا المفهوم أنَّ القارئ هو المعيار الذي يُحتكم إليه في الحكم _ بالدليل _ على وجود الإشكال في المعنى الظاهر من النص أو انعدامه .
- 6_ إنَّ الباحث يرى أنَّ هناك إشكالاً في هذا المفهوم ، يتمثل في عدم تحديد مدلول الظهور ومعايره ، أو مفهوم المعنى الظاهر بوجه عام .

إذن ما المعنى الظاهر ؟ هل هو المعنى اللغوي البنيوي ، أي المعنى الناتج من مستويات اللغة الداخلية (الصرفية ، الصوتية ، النحوية ، المعجمية) ؟ أم أنه المعنى الذي يتبادر إلى ذهن القارئ بمجرد قراءة النص ؟ أم أنه المعنى الشائع في الثقافة التي ينتهي إليها القارئ ؟ أم ماذا ؟

بعبارة أخرى أقول : إنَّ مفهوم التأويل المشار إليه سابقاً حدّد نوعين من المعنى ، هما : المعنى الظاهر ، والمعنى التأويلي ، وهو المعنى الخفي _ الذي لم يكن ظاهراً من النص ، أو الذي لم يفصح عنه النص ، أو الذي لم يكشفه النص بذاته _ الذي أظهره القارئ ، لكنّه لم يحدّد معايير الظهور وشروطه ، ولم يُعرّف المعنى الظاهر تعريفاً دقيقاً واضحاً ؛ فالظاهر عند قارئ قد يكون خفياً عند آخر ، أو بعبارة أخرى أقول : إنَّ المعنى الذي يُنعت بالتأويل هو نفسه قد يُنعت بالظهور عند مفسر آخر ؛ لانعدام المعايير الضابطة الفارقة بين الظهور والتأويل كما بين الباحث هذا في النموذج السابق .

(2) فرضيات حول مفهوم المعنى الظاهر :

• الفرضية الأولى : افتراض أنَّ المعنى الظاهر هو المعنى البنيوي الناتج من مستويات اللغة الداخلية :

اختلفت آراء المفسرين حول المعنى الظاهر والمعنى التأويلي في قضية الرؤية في قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة : 22 ، 23] على قولين :

1 _ النظر بمعنى الرؤية العينية .

2 _ النظر بمعنى الترقب والانتظار.

بالرجوع إلى المستوى المعجمي تبين أنَّ النظرَ يحتملُ المعنيين السابقين ، فالنظرُ : حسُّ العين .. تقولُ : نظرتُ إلى كذا وكذا ، من نظر العين ونظر القلب .. والنظارةُ : القومُ ينظرون إلى الشيء . وقوله عز وجل : ﴿ وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ﴾ قال أبو إسحاق : قيل معناه وأنتم ترونهم يغرقون .. والنظرُ : الانتظار . يقال : نظرتُ فلانا وانتظرته بمعنى واحد .. ومنه قوله تعالى : ﴿ انظرونا نقتبس من نوركم ﴾ قرئ : انظرونا وأنظرونا بقطع الألف ، فمن قرأ انظرونا بضم الألف فمعناه : انتظرونا ، ومن قرأ أنظرونا فمعناه : أخرجونا ، وقال الزجاج : قيل معنى أنظرونا : انتظرونا أيضًا⁶ ، ومنه قول عمرو بن كلثوم⁷ :

أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرننا نخبرك اليقيننا

وقد اختلف المفسرون على هذين المعنيين ، فالقاضي عبد الجبار يرى أنَّ المعنى الظاهر لا يدلُّ على معنى الرؤية العينية ؛ إذ يقول : "لا يدلُّ ظاهرُه على أنه تعالى يرى من وجوه : أحدها : أنَّه تعالى ذكر أنها ناظرةٌ إلى ربِّها ، والنظرُ غيرُ الرؤية ؛ لأنَّه إذا علق بالعين ، فالمرادُ طلبُ الرؤية ، كما إذا علق بالقلب ، فالمرادُ طلبُ المعرفة ؛ ولذلك يقول القائلُ : نظرتُ إلى الشيء فلم أره ، ونظرتُ إليه حتى رأيته .. وإذا كان النظرُ غيرَ الرؤية ، فكيف يدلُّ الظاهرُ على أنَّهم يرون الله"⁸.

ثمَّ يؤكدُ القاضي عبد الجبار على نفي دلالة المعنى الظاهر على رؤيته عزَّ وجل ، فيقول : " ومتى قالوا (يقصد خصومه من الأشاعرة والمُجسِّمة) : إذا ثبت بالظاهر أنَّه يُنظرُ إليه ، وجب أن يكون مما يصحُّ رؤيته ، قلنا : هذا يؤدي إلى أن يكون جسمًا في جهة مخصوصة ؛ لأنَّ النظرَ هو تقليبُ الحدقة نحو الشيء التماسًا لرؤيته ، وهذا لا يصحُّ إلا والمطلوب رؤيته في جهة مخصوصة ، وذلك يوجب أنَّه جسم ، تعالى الله عن ذلك "⁹.

وعلى أساس من التصورات والمعتقدات التي يرى أنَّها غيرُ جائزة في حق الله ، ينفي القاضي عبد الجبار كما رأينا أن يكون المعنى الظاهر من قوله تعالى : (إلى ربِّها ناظرة) هو النظر بالعين ورؤيته عز وجل ، فإن قيل النظرُ المذكورُ في الآية إذا لم يفد الرؤية فما تأويلُ الآية ؟ قيل له : قد قيل إنَّ النظرَ المذكورَ معناها الانتظار ، فكأنَّه تعالى قال : وجوه يومئذٍ ناضرة لثواب ربِّها منتظرة ، والنظرُ بمعنى الانتظار قد ورد ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ

ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴿ [البقرة : 280] أَي : فانتظار ، وقال عز وجل فيما حكى عن بلقيس : ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل : 35] أَي : منتظرة .. فإن قيل : النظر إذا عدى بإلى كيف يجوز أن يكون بمعنى الانتظار ؟ قلنا : كما قال الله تعالى : ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ ذكرَ النظرَ وعدَّاهُ بإلى وأراد به الانتظار .. فإن قيل : النظر إذا علق بالوجه وعدى بإلى فكيف يراد به الانتظار ؟ قلنا : إِنَّ ذلك غير ممتنع¹⁰ ، وعلى هذا قول الشاعر¹¹ :

وجوه يوم بدرناظرات إلى الرحمن يأتي بالخلاص

وبالمنطق نفسه نجد أنَّ هناك من يرى أنَّ المعنى الظاهر من اللفظ إنما يفيد الرؤية العينية ؛ " لأنَّ العرب إذا أرادت بالنظر الانتظار قالت : نظرت ، كما قال تعالى : (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) [الزخرف : 66] ، ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ [الأعراف : 53] ، ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ [يس : 49] ، وإذا أرادت به التفكير والتدبر قالت : نظرت فيه ، فأما إذا كان النظر مقروناً بذكر إلى وذكر الوجه ، فلا يكون إلا بمعنى الرؤية والعيان¹² .

هذا على الرغم من ورود النظر في القرآن مقروناً بإلى كما في قوله تعالى : ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ ، فذكر النظر مقروناً بإلى وأراد به الانتظار ، كما يتضح من السياق .

اتضح مما سبق أنَّ اختلافهم حول تحديد المعنى الظاهر إن أفاد شيئاً ، وإنما يفيد أنَّ افتراض المعنى الظاهر بأنه المعنى البنيوي هو افتراضٌ غيرٌ صحيح (إذا اتصف بالتعدد والاحتمال) ؛ إذ كيف تتعدد الأفهام وتحارُ العقول وتختلفُ حول معنى يُنعتُ بالظهور !

إنَّ تعدد الأفهام ، واختلاف التصورات ، وحيرة العقول أمرٌ لا يمكن تصوُّره إزاء معنى ظاهري ، فالاختلاف لا يكون إلا حول ما يوصف بالغموض لا بالظهور ، بالالتباس لا بالوضوح ، بالتعدد والاحتمال لا بالقطع والتحديد .

● الفرضية الثانية :

افتراض أنَّ المعنى الظاهر هو ما يتبادر إلى ذهن القارئ بمجرد قراءة النص : لا شك لدى الباحث أنَّ هناك معنى يتبادر إلى أذهان القراء بمجرد قراءة النص ، ثم قد يتبيَّن للقارئ _ بالتأمل والبحث فيما بعد _ أنَّ هناك معنى آخر غير الذي تبادر إلى ذهنه ، فهل يكون المعنى الظاهر هو ما تبادر إلى ذهن القارئ بمجرد القراءة ؟ وهل يكون

المعنى الآخر هو التأويل الذي يخالف الظاهر ؟

يبدو للوهلة الأولى أن هذا التصور مقبولٌ ، لكن بالتأمل نستطيع أن نلاحظ أمرًا يجعله لا يتسم بالدقة : لأن ما يتبادر إلى أذهان القراء ليس شيئًا واحدًا ، فما يتبادر إلى ذهني قد يخالف ما يتبادر إلى ذهن قارئ آخر ، بل قد يناقضه ؛ لاختلاف الخلفيات المعرفية والمرجعيات العقدية بين القراء ، وهذا يعني أنَّ المعنى الظاهر _ إذا سلّمنا أنَّ المعنى الظاهر هو ما يتبادر إلى ذهن القارئ _ يتعدد بتعدد ما يتبادر إلى أذهان القراء ؛ مما يجعله معنى مُخْتَمَلًا حوله اختلافٌ ، ومن هنا يصعب ، بل يمتنع الفصل والتمييز بين الظاهر الذي يتبادر إلى الذهن ، والتأويل الذي يخالف الظاهر ؛ إذ لا اتفاق بين القراء حول التبادري والتأويلي ، فالتبادري عند قارئ قد يكون تأويليًا عند آخر ، والتأويلي عند قارئ قد يكون تبادريًا عند آخر ، وبذلك يلتبس الظاهر بالتأويل والتأويل بالظاهر .

ويرى الدكتور يحيى محمد أنَّ المعنى التبادري يتأثر بالثقافة العصرية ؛ لذا فإنه يختلف من عصرٍ لآخر " ومن الأمثلة على ذلك مفهوم " الحُكم " في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : 44] ؛ حيث يتبادر إلى أذهان الكثير من الناس أنَّ معنى الحكم هو ذلك المتعلق بالسلطة السياسية وما إليها ، كالذي تفهمه بعض الحركات الإسلامية اليوم ، في حين ليس للمعنى علاقة بهذا الجانب "13.

اتضح مما سبق أنَّ المعنى التبادري يختلف من قارئ لآخر ، ومن ثقافة لأخرى ، ومن عصر لآخر ، وهذا يدلُّ على أنَّ افتراض المعنى الظاهر بأنه المعنى التبادري هو افتراضٌ غيرٌ صحيح ، وأنَّ هذا التصور يؤدي إلى التباس الظاهر بالتأويل ؛ إذ لا اتفاق بين القراء حول ما هو تبادري وما هو تأويلي .

(3) خاتمة بأهم نتائج البحث :

1_ إنَّ اختلافهم حول تحديد المعنى الظاهر إن دلَّ على شيء ، فإنما يدل على نفي ظهوره ؛ لأنَّ الغاية من الظهور هي وضوح المعنى وانكشافه للقارئ ؛ حيث لا يختلف حول ظهوره (لا حقيقة المراد منه) اثنان ، فالاختلاف حول حقيقته والمراد منه أمرٌ جائز ومقبول ، أمَّا الاختلاف حول تحديد الظاهر يقضي على مفهوم الظهور ذاته .

2_ إنَّ اختلافهم حول تحديد المعنى الظاهر يدلُّ على انعدام المعايير التي تصف الظهور وتحدده تحديدًا دقيقًا .

3_ افتراض أنَّ المعنى الظاهر هو المعنى البنيوي هو افتراضٌ غير صحيح إذا

اتصف بالتعدد والاحتمال ، فبالرجوع إلى المعجم _ في النموذج المذكور _ تبيّن أنّ النظر يحتملُ المعنيين ، الرؤية العينية، والانتظار والترقب ، فإن قيل إن المعنيين ظاهران من اللفظ ؛ فإنّ هذا القول لا يخلو من التناقض والاضطراب ؛ إذ لا يُتصور عقلاً أن تتعدّد الأفهامُ وتختلفَ حول ما ينعت بالظهور ، فالاختلاف لا يكون إلا حول ما يوصف بالغموض لا بالظهور ، بالالتباس لا بالوضوح ، بالتعدد والاحتمال لا بالقطع والتحديد .

4_ افتراض أنّ المعنى الظاهر هو المعنى الذي يتبادر إلى ذهن القارئ بمجرد قراءة النص ، وأن المعنى الآخر الذي يتبين _ فيما بعد _ للقارئ بالتأمل والبحث هو التأويل الذي يخالفُ الظاهر ، هو افتراضٌ غير صحيح ؛ لأن ما يتبادر إلى أذهان القراء ليس شيئاً واحداً ، وهذا يعني أنّ المعنى الظاهر يتعدد بتعدد ما يتبادر إلى أذهان القراء ؛ مما يجعله معنى مُختلماً حوله اختلافٌ ؛ مما يؤدي إلى التباس الظاهر بالتأويل والتأويل بالظاهر ؛ إذ لا اتفاق بين القراء حول ما هو تبادري وما هو تأويلي .

5_ يستنتج من النقاط الأربعة السابقة أنّ المعنى الظاهر هو المعنى اللغوي البنيوي إذا لم تتصف البنية اللغوية في أي مستوى من مستوياتها بالتعدد والاحتمال ، أو بعبارة أخرى أقول : إنّ المعنى الظاهر قد يكون المعنى المستفاد من مستويات النص الداخلية ، الصرفية والصوتية والنحوية والمعجمية ، ما لم يتصف بالتعدد والاحتمال .

6_ إنّ الاستنتاج السابق لمفهوم المعنى الظاهر مؤسسٌ على افتراض وجود معنيين ، أحدهما ظاهر ، والآخر تأويلي ، وعلى افتراض أن المعنى التأويلي هو المعنى الخفي الذي يخالف الظاهر ؛ لقريئة توجب الصرف إليه عن المعنى الظاهر كما جاء في مصطلح التأويل المذكور سابقاً.

الهوامش

- ¹ (التفسير الكبير للفخر الرازي) ، (الإكليل في المتشابه والتأويل لابن تيمية) ، (متشابه القرآن ، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار) ،
- ² عبد الرحمن بن يحيى المعلي : رسالة في حقيقة التأويل ، تحقيق جريدين العربي الجزائري ، دار أطلس الخضراء ، المملكة العربية السعودية ط1 / 2005 ، ص 43 ، وص 44 .
- ³ الفخر الرازي : التفسير الكبير ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1981 ، ج 28 / ص 285 .
- ⁴ الفخر الرازي : التفسير الكبير ، ج 28 / ص 282 .
- ⁵ ابن تيمية : الإكليل في المتشابه والتأويل ، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، مصر ص 27 و ص 28 .
- ⁶ انظر ابن منظور : لسان العرب ، طبعة دار صادر ، لبنان ، ط 2003 ، ج 14 / مادة (ن ظ ر) .
- ⁷ معلقة عمرو بن كلثوم : دار الكتب الوطنية ، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة ، (المجتمع الثقافي) ط 1 / 2012 ، ص 29 .
- ⁸ القاضي عبد الجبار : متشابه القرآن ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر ، ط 2 ، 2014 ، ج 2 / ص 425 .
- ⁹ القاضي عبد الجبار : السابق ج 2 / ص 425 .
- ¹⁰ القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2009 ، ص 245 ، ص 246 .
- ¹¹ الشاعر هو حسّان بن ثابت .
- ¹² القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، دار الحديث ، القاهرة ، ط 2 ، 1996 ، ج 19 / ص 106 .
- ¹³ يحيى محمد : منطق فهم النص ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ط 1 ، عام 2010 ، ص 35 .